التربية على القيم وإصلاح التعليم

Value education and education reform

ليندة صياد

جامعة باجي مختار-عنابة (الجزائر) sayadlynda@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/03/15 تاريخ القبول: 2022/04/28 تاريخ النشر: 2022/07/31

ملخص:

في ظل الثورة العلمية والتكنولوجية شهدت المجتمعات المعاصرة أزمات مختلفة، ومن بينها أزمة القيم في المنظومة التربوية والتعليمية. ويُعدّ التعليم المنطلق الأول لإصلاح الإنسان، ومن ثمّ فهو الركيزة الأولى لإصلاح القيم؛ لأن قوة الأمم لا تقاس بإمكاناتها المادية، بل بقيمها الأخلاقية. ومن أجل ذلك تمّ التفكير في إدراج القيم في المناهج الدراسية، وكذا تعديل محتوى المادة الدراسية والمصادر التعليمية، بعدما تبيّن قصور المناهج التعليمية الحالية، وعجزها عن بناء منظومة تربوية أخلاقية؛ لأن وظيفة المناهج الدراسية لا تقتصر على تزويد المتعلمين بكم من المعلومات، بل في تأصيل القيم لدى التلاميذ.

كلمات مفتاحية: التربية، القيم الأخلاقية، إصلاح التعليم، المناهج التعليمية، المنظومة التربوية.

Abstract:

Under the scientific and technological revolution, contemporary societies experienced various crises, including the value crisis in the educational system. Education is the first starting point for human reform and is therefore the first pillar of value reform; For this, it was considered that values should be included in the curriculum, as well as that the content of the subject and educational sources would be amended, as it was found that the current curriculum was inadequate and unable to build a moral educational system, because the function of the curriculum was not limited to providing learners with information, but also in rooting out values among pupils.

Keywords: Education; Values; Education reform; Curriculum; Educational system.

1. مقدمة :

تُعدّ المدرسة من بين أهم المؤسسات التي تقوم بدور التنشئة الاجتماعية للأفراد، باعتبارها مؤسسة رسمية تستكمل دور الأسرة التربوي، من حيث كونها تعمل على ترسيخ جملة من المهارات والقيم والمعايير الاجتماعية التي تتشكل من خلالها شخصية الفرد، ويتم ذلك من خلال تبني مناهج تعليمية تستجيب لهذه الشروط. إذ لم تعد وظيفة المدرسة تزويد المتعلمين بكمٍ من المعلومات ومن ثمّ تنمية الجانب المعرفي فحسب، بل أصبح من الضروري تنمية الجانب القيمي والأخلاقي للمتعلم، على أساس أن التربية على القيم تشكل إحدى مرتكزات الحياة الإنسانية في جانبيها الفردي والاجتماعي.

فإذا كان المرء لا يستغني عن منظومة القيم لدورها الرئيس في بناء السلوك الإنساني وفي تقدم الأمم والحضارات، فهل التربية على القيم كفيلة بإصلاح التعليم ومن ثمّ تحقيق رقي وتطور المجتمع؟ وبمعنى آخر، إلى أي مدى تساهم مضامين المناهج التعليمية المؤسسة على القيم في الوصول بالمتعلمين إلى الإسهام في بناء مجتمعهم؟

وماهي الطرق والاستراتيجيات التي تجعل من القيم سلوكات عملية وليس دروسا نظرية؟

وقبل الإجابة عن هذه المشكلات، تمّ تحديد مجموعة من الأهداف تمثلت في مايلي:

-إصلاح التعليم من خلال دمج القيم في المناهج التعليمية، بسبب قصور وعجز المناهج الحالية عن بناء منظومة تربوية وتعليمية ناجحة، وكذا عجزها عن بناء الشخصية الأخلاقية في بعديها الفردي والمجتمعي.

-وضع خطوات عملية لتدريس القيم وترسيخها في سلوكات المتعلمين، ومن ثمّ الابتعاد عن المفاهيم النظرية للقيم وأيضا تجنّب أساليب الإلقاء والتلقين واستبدالها بالحوار والمناقشة.

-ضرورة حماية الخصوصيات الحضارية والمرجعيات الفكرية لمجتمعنا. ولذلك لابدّ من ربط القيم بالعقيدة الإسلامية وتقديم نماذج وأمثلة إيجابية توضح نتائج الالتزام بالقيم الحميدة، وتجنّب القيم السلبية الوافدة على الناشئة والمتعلمين والكشف عن أضرارها على الفرد والمجتمع.

-التربية على القيم ترتبط بإصلاح التعليم ومن ثمّ إصلاح المجتمع. فعندما تعجز المدرسة بما تحمله من منتوج معرفي وقيمي عن التفاعل مع المجتمع، في هذه الحالة تحدث الأزمة؛ لأن المدرسة حقل خصب لترسيخ القيم الأخلاقية وقيم المواطنة وحقوق الإنسان والديمقراطية.

-إبعاد منظومتنا التربوية والتعليمية عن التجارب والحلول المستوردة من الدول الغربية، لاختلاف قيمنا عن قيمهم ومرجعيتنا العربية الإسلامية عن مرجعيتهم، وذلك حتى لا يصبح التلميذ أمام مرجعيتين أو أكثر، وأمام أنماط ثقافية متعدّدة، الأمر الذي يؤدي إلى صراع قيمي فتلتبس في ذهنه القيم.

أما عن المنهجية المتبعة في هذا البحث فقد تمثلت في المنهج الوصفي الذي يشتمل على الوصف والتفسير والتحليل؛ لأن طبيعة الموضوع تقتضي إبراز أهمية التربية على القيم ودورها في إصلاح حياة الفرد والمجتمع، وذلك من خلال الوصل بين القيم والمناهج التعليمية.

2. مفهوم القيم: Valeur-Value

اختلف تعريف مصطلح القيمة باختلاف وتنوع المجالات التي تناولتها (اقتصادية، فلسفية، اجتماعية، نفسية، دينية وتربوية)، الأمر الذي جعل من "القيمة" مدلولا غنيا وأكثر تعقيدا، ومختلفا من تخصص لآخر. فتعدّدت الرؤى الفلسفية والثقافية للقيمة ومن ثمّ أضحى تدريسها وتعليمها ناتجا عن تصور وفهم طبيعتها.

فماذا نعني بالقيم؟ وما هي دلالتها اللغوية والاصطلاحية.

1.2 التعريف اللغوي :

جاء في المعجم الوسيط أن لفظ القيمة يحمل معاني مختلفة، فقيمة الشيء قدره، وفي الجمع "قيم". ويقال ما لفلان قيمة؛ بمعنى ما له ثبات ودوام على الأمر. (منتصر، 2004، ص768)

وكلمة Valeur لاتينية الأصل، فهي مأخوذة من الفعل المصرّف Valeo الذي معناه "أنا قوي" Je suis fort، "أنا في صحة جيّدة" Je suis en bonne santé وهو معنى يتضمن فكرة الفعالية والتأثير والملاءمة، ومعنى تشير إليه الكلمة الفرنسية في استعمالها اللغوي، حيث تدل على القوة والشجاعة. (ميمون،1980، ص28) وعليه، فالقيمة هي "المبدأ أو المستوى أو الخاصية التي تعتبر ثمينة أو مرغوبة، وتساعد على تحديد ما إذا كانت بعض الموضوعات جيدة أم رديئة، حسنة أم سيئة، صحيحة أم خاطئة، مفيدة أو عديمة الفائدة. وهذه الموضوعات قد كون أفكارا أو قرارات أو أشخاصا أو أفعالا أو أشياء". (مجموعة مؤلفين، 2009، ص140)

إذن في هذا التعريف يبيّن لنا أن معنى القيمة يحمل بعدا إنسانيا يسمو به عن باقي الكائنات. ويختلف في الوقت نفسه عن معنى القيمة المادي المتمثل في ثمن الشيء؛ أي البعد الاقتصادي.

2. 2 التعريف الاصطلاحي:

كلمة "القيم" من الكلمات التي تذكر كثيرا عند المفكرين والتربويين، وهذا يدل على ما تحتله هذه الكلمة من اهتمام تربوي وثقافي. لكن تباينت آراء الباحثين في الدراسات الإنسانية والاجتماعية حول مفهوم القيم، ولم يتوصلوا إلى تحديد تعريف جامع مانع لها، يوضح خصائصها ويكشف عن حقيقتها. ولهذا يختلف تصور القيم باختلاف الفلاسفة، فعند القدامى مثلا القيم عبارة عن حقائق عالية وسامية، تلزم الإنسان وتحدّد كيانه وتوجّه تفكيره وسلوكه، كمثال الخير عند أفلاطون...وعند بعض فلاسفة القيم، القيمة مقابلة للوجود؛ بمعنى هي ما ينبغي أن يوجد، وهي ما يكون وجوده مرغوبا فيه ويتجاوز ما هو موجود. (سعيد، 2004، ص371)

ولقد ميّز ماركس بين القيمة الاستعمالية Valeur d'usage والقيمة التبادلية Valeur d'échange فالقيمة الاستعمالية هي التي تعطى للشيء بالنظر إلى صلاحيته واستعمالنا له. أما القيمة التبادلية على ما للشيء من ثمن اعتباري، يسمح بتبادله بين الناس. (Larousse, 2003, p3056)

أما نيتشه فيذهب مذهبا آخر عندما يقول بأن القيم لا توجد في الأشياء، وإنما الإنسان هو الذي يضع القيم في الأشياء. فهو يملك إرادة مستقلة تتناسب مع قوته، وهذا ما جعل القيم ترتبط بقوة الإرادة التي تعدّ مقياسا قيميا. (Larousse, 2003, p3055)

يعرّف جون ديوي القيم بقوله: "...لقد سيطرنا على المادة بأجهزتها وأدواتها بشكل كاف يتيح لنا إنتاج خبرات ممكنة، ولكننا لم نكسب معرفة بالظروف والأحوال التي بواسطتها تصبح القيم الممكنة حقيقة واقعة في الحياة". (رالف ن، 1964، ص175)

ويضيف ديوي مشيرا إلى أن مفهوم القيم لم يكن محل اتفاق بين العلماء والمنظرين، حيث يقول: " لفظ القيمة له معنيان مختلفان تمام الاختلاف، فهو من جهة يدل على موقف الاعتزاز بشيء وإيثاره على اعتبار أنه ثمين ونفيس من أجل ذاته... ومن جهة أخرى يعني لفظ قيمة التقويم؛ بمعنى عمل عقلي مميّز قوامه المقارنة والحكم". (رالف ن، 1964، ص176). والمقصود بذلك أن الآراء حول موضوع القيم تتأرجح اعتبار القيمة مجرّد إشارات انفعالية، وبين اعتبارها معايير عقلية نستند إليها عند الحكم على الأشياء.

وعُرّفت القيم الإسلامية بأنها "حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محدّدا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك". (السلمي،2019، ص85) وعلى الرغم من التباين في تحديد مفهوم القيم، إلا أنه يمكننا القول في الأخير بأن القيم هي "مجموعة من

الاتجاهات المعيارية «المركزية» لدى الفرد في المواقف الاجتماعية، فتحدّد له أهدافه العامة في الحياة، والتي تتضح من خلال سلوكه العملي أو اللفظي. كم يعرّفها بعضهم الآخر بأنها مفهوم يميّز الفرد أو الجماعة التي ينتمي إليها، ويحدّد ما هو مرغوب فيه وجوبا، ويؤثر في انتقاء أساليب العمل ووسائله وغاياته". (خليفة، 1992، ص48)

إن القيمة بهذا المعنى تعطي لصاحبها مكانة عالية في مجتمعه؛ لأنها تثبت إنسانية الإنسان وتؤكدها، وتحفظ وجوده وتسعده. كما تعطي للوجود الإنساني المعاني التي تميّزه عن باقي الكائنات الأخرى.

3. المناهج التعليمية ودورها في ترسيخ القيم

كثيرة هي الأسباب التي تدعو إلى تدريس القيم بغية إصلاح التعليم، فمنها ما يتعلق بالتلميذ، ومنها ما يمسّ النظام التعليمي ومناهجه؛ لأن السبيل الأساسي لتقدم المجتمعات هو تطوير التعليم من خلال مراجعة وتطوير المناهج التعليمية. والمنهاج هو المرآة التي تعكس واقع المجتمع وفلسفته وثقافته وحاجته وتطلعاته. كما يعمل على تنمية قدرات المتعلم واستعداداته وميوله وتقوية طاقاته الإبداعية وتوجيهها لصالح المجتمع من خلال تطوير مناحي الحياة المختلفة، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مستندة إلى فلسفة وأهداف مشتقة من فلسفة وأهداف المجتمع. (الشاذلي، 2017، ص9)

ويعرّف المنهاج بمفهومه المعاصر على أنه "مخطط تربوي يتضمن عناصر مكونة من أهداف ومحتوى وخبرات تعلمية وتدريس وتقويم، وهي مشتقة من أسس فلسفية واجتماعية ونفسية ومعرفية، ويكون مرتبطا بالمتعلم ومجتمعه، ومطبقا في مواقف تعلمية تعليمية داخل المدرسة وخارجها وتحت إشراف منها، بقصد الإسهام في تحقيق النمو المتكامل لشخصية المتعلّم بجوانبها العقلية والوجدانية والجسمية، وتقويم مدى تحقق ذلك كله لدى المتعلّم". (إبراهيم، 2014، ص64). ونفهم من هذا التعريف أن عملية التربية على القيم جزء لا يتجزأ من مهام المناهج التعليمية، إذ تسعى إلى غرس قيم ومعتقدات المجتمع في نفوس الناشئة.

كما يطلق المنهاج أيضا "على كل التجارب التعلمية المنظمة، وكافة التأثيرات التي يمكن أن يتعرّض لها التلميذ تحت مسؤولية المدرسة خلال فترة تكوينه. ويشمل هذا المفهوم نشاطات التعلم التي يشارك فيها التلميذ، والطرائق والوسائل المستعملة، وكذا كيفيات التقويم المعتمدة". (وزارة التربية الوطنية،2009، ص8) وهذا التعريف يعبّر عن الجانب البيداغوجي من المنهاج المتمثل في نشاطات التعلم التي تربط بين

المعلّم والمتعلّم والمعتمدة على وسائل تعليمية تناسب كل نشاط، وتنتهي بالتقويم للكشف عن مدى استيعاب التلميذ لتلك الأنشطة.

أما عن المبادئ التي تبنى عليها المناهج الدراسية فهي أربعة أصناف: القيمي، الإبستمولوجي، المنهجي، والبيداغوجي. وهنا سوف نركز على الصنف الأول؛ لأن له علاقة مباشرة مع موضوع بحثنا وهي ربط القيم بالتعليم. فعلى المستوى القيمي نجد أن دور التربية في كل مجتمع هو نقل قيمه إلى الأجيال، سواء تلك التي يشترك فيها جميع أفراده، وهدفها تعزيز الوحدة الوطنية، ونقصد بذلك: القيم الاجتماعية والثقافية والروحية، أو تلك التي تتميّز بالخصوصية الفردية، ونقصد بها: القيم الوجدانية والأخلاقية، القيم الإنسانية المتفتحة على العالم. (وزارة التربية الوطنية،2009، ص10).

إلا أن المناهج التعليمية الحالية لم تراع التغييرات التي فرضتها التحديات والتطورات العالمية التي كان لها تأثير واضح على المنظومة التربوية، فأصبح من الضروري الحديث عن تنشئة التلاميذ في مجتمعاتنا العربية والإسلامية بمعطيات العصر الذي يعيشون فيه، لكن مع احترام القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية والمدنية للمجتمع، ومراعاة قواعد الحياة الاجتماعية، وترجمة القيم الأخلاقية إلى سلوكات وممارسات، يتمرّن التلاميذ على اكتسابها منذ التحاقهم بالمدرسة. (سعيدي،2018، ص283)

والسبب يرجع في الأساس إلى اهتزاز العديد من المفاهيم والقيم واضطراب المعايير القيمية والأخلاقية، التي ظلت سائدة ومسيطرة على فكر الشعوب لزمن طويل. ولذلك لا بدّ من إعادة تشكيل منظومة القيم عند الإنسان المعاصر بسبب سيادة القيم المادية والفردية على أنماط حياته وتفكيره وسلوكه، وإهمال معايير الحق والتسامح والعدل.

- تقوم المنظومة التربوية برسم أهداف ذات أولوية، ومن أهمها تدعيم قيم الهوية التي تربط التلميذ بمجتمعه ووطنه وتاريخه وفضائه الجغرافي. لكن إذا نظرنا إلى واقع المناهج التعليمية في البلدان العربية والإسلامية، نلاحظ طغيان الحديث النظري عن القيم، وغياب التفعيل التطبيقي والتربوي، وقد يتعدى الأمر إلى غياب رؤية نسقية لهذه القيم تحدّد مرجعيتها. وعند تعدّد المرجعيات في بناء مناهج التعليم عامة، والتربية على القيم على وجه الخصوص، لا تتمكن المناهج من تحقيق أهدافها. (حنفي،2017، ص18)

- إغفال دوافع التعليم الحقيقية، وإغفال اختلاف الأطر الثقافية التي ينتمي إليها التلميذ. فالتعليم في نظر الكثيرين لا يعني أكثر من مجرّد تطبيق المقررات الدراسية وما يتصل بها من كتب قادرة على تنفيذ المنهاج

التعليمي. وعلى ذلك فإن تطوير المنهاج يتطلب الاستناد إلى قيم جوهرية لها أبعادها الفلسفية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية المتميّزة. (اللقاني، 1995،ص11)

ومن ثمّ فلابدّ من النظر إلى عملية تطوير المناهج ومن ثمّ إصلاح التعليم باعتبارها مسألة قيمية بالدرجة الأولى؛ ذلك لأن الغاية التي نرجوها من تطبيق المقررات الدراسية هو معرفة طبيعة المتعلم وحدود قدراته واستعداداته، وظروفه النفسية والاجتماعية، حتى نتمكن من تنمية قدراته ومهاراته ويصبح قادرا على الإبداع وإنتاج أفكار جديدة تتماشى مع هويته وثقافته وقيمه، وكذا مع التطورات التي عرفها العالم من الناحية العلمية والتكنولوجية. إذ لابد من دراسة الخبرات العالمية في مجال التعليم والاستفادة منها، لكن بما يتماشى مع ظروفنا وإمكاناتنا. فماهي القيم التي لابد من مراعاتها حتى نبني سياسة تعليمية ناجحة، ونحقق المنتج التعليمي المرغوب فيه؟

4. التربية على القيم: من المعرفة النظرية إلى السلوك العملي

التربية على القيم أو التربية القيمية؛ هي تربية أخلاقية تقوم على التحلي بالفضائل وآداب السلوك من صدق وأمانة ووفاء وإيثار إتقان للعمل.... وغيرها من الفضائل. لكن تتسع هذه التربية لتشمل العلاقات الاجتماعية وما تفرضه من حقوق وواجبات وتسامح وقبول الرأي الآخر، والتعاون والتضامن والتحلي بروح المسؤولية والانضباط.... وهي جميعها قيم ضرورية لتحقيق التفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي على اختلاف مستوياته.

"تشكل التربية على القيم ضرورة هامة في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى، وذلك بالنظر لانحطاط الجانب القيمي لدى الأفراد على المستوى العالمي، بحيث يتجلى ذلك في اتساع دائرة الجريمة والفساد، وضعف الضمير الإنساني، وتغليب المصلحة الخاصة. وبما أن القيم هي الموجه الرئيس للعملية التربوية؛ من حيث أنها ترسم الطريق وتنبثق عنها الأهداف، فإن التربية في هذا المسار تتوخى بناء الفرد الصالح الذي ينشد المنفعة لنفسه ولمجتمعه". (غريب، 2000، ص383، 384)

وفي ظل تصاعد أزمة القيم، بسبب انفتاح المجتمعات على بعضها في زمن الفضائيات، أصبح لزاما على المؤسسات التعليمية القيام بدور أكبر في مجال التربية الأخلاقية، وإعطائها مساحة كبرى في مناهج التعليم حتى نتمكن من إعداد أجيال قادرة على التعايش مع الحاضر بكل ما يحمله من عوائق وتحديات، على أن يكون التعرف على القيم في السنوات الأولى من التعليم، ثمّ الوعي بقيمتها في المراحل الأخيرة من

تعليمه. لكن لن تتحقق هذه الغاية إلا إذا تربى الفرد على حمل قيم مجتمعه وتجسيدها في سلوكياته؛ لأن القيم تشكل المحرك الفعلي للتطور الحضاري. وإحدى المؤشرات لمستوى الرقي والتحضر. وعليه سنتعرّض إلى بعض القيم التي يجب أن يتربى عليها الفرد وهي كالآتي:

4. 1 التربية على قيم الديمقراطية:

لقد كانت المدرسة وما تزال تشكل أهم أدوات ترسيخ قيم الديمقراطية ومبادئها، وخاصة في مجال تكوين الإنسان وتحديث المجتمع وفق قواعد النظام والانضباط، الحرية والمسؤولية، المواطنة، النقد، الانفتاح والتسامح. فدور المدرسة لم يعد مقتصرا على تقديم المعارف وإنجاز المشاريع التربوية، بل يتعدى ذلك إلى المساهمة في تحقيق مشروع مجتمعي، ينعم فيه كل مواطن بالحرية والتعلم والعمل. (أحرشاو، 2017، ص53)

إذن لم يكن العمل السياسي هو الطريق الوحيد لإرساء ركائز المجتمع الديمقراطي، وذلك لارتباطه بأنشطة أخرى على المستوى الثقافي والتربوي؛ مما يعني أن النشاط السياسي لم ينفصل عن نشاط المفكر والمربي، بحيث يعمل الجميع على ترجمة القيم والمثل على أرض الواقع.

4. 2 التربية على قيم المواطنة:

تعتبر المدرسة المؤسسة الاجتماعية الأساسية التي تعمل على تحقيق أهداف التربية على المواطنة والسلوك المدني، من خلال غرس الثوابت الدينية والوطنية ورموزها وقيمها الحضارية لدى المتعلمين، والوعي بالحقوق والمسؤوليات والتدرب على ممارستها. وعليه، فإن المواطنة تهدف إلى تحقيق انتماء المواطن وولائه لوطنه، وتفاعله إيجابيا مع المواطنين، بالإضافة إلى الشعور بالإنصاف، وارتفاع الروح الوطنية لديه واستعداده للدفاع عن وطنه باسم الواجب الوطني. (الصديق،2014،ص35، 36)

ومن أجل تجسيد قيم المواطنة، ينبغي على المناهج الحديثة أن تعمل على تأكيد المقومات الأساسية للشخصية الوطنية لأي دولة، وأن تعتني بغرس القيم في نفوس التلاميذ، حتى يتصل ماضي المجتمع بحاضره ومستقبله.

بالإضافة إلى تنمية الحسّ المدني لدى التلاميذ، وتنشئتهم على القيم الأخلاقية (العدالة والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، واحترام الغير، وحب العمل والإخلاص فيه، والتضامن بين المواطنين. وكذلك تنمية ثقافة الديمقراطية لدى التلاميذ بإكسابهم مبادئ النقاش والحوار، وقبول رأي الأغلبية، وحملهم على نبذ التمييز والعنف وتفضيل الحوار. (سعيدي، 2018، ص287)

وعلى هذا الأساس، فإن الهدف العام للتربية على المواطنة، يتمثل في إعداد الموطن الصالح الذي يعرف حقوقه ويؤدي واجباته اتجاه مجتمعه، ويكون قادرا على مواكبة مستجدات الحياة المعاصرة.

4. 3 التربية على قيم حقوق الإنسان:

إن هذا النوع من التربية يساعد المتعلمين على إدماج قيم حقوق الإنسان مثل الاحترام والحرية والمساواة...وغيرها، في حياتهم اليومية على نحو أفضل. كما أن تعليم مبادئ وأخلاق حقوق الإنسان للمتعلمين معناه؛ تأسيس هذه الحقوق كقيم على مستوى الوعي والوجدان والمشاعر، وكتصرفات عملية على مستوى الممارسة. وينطلق التعليم القيمي السلوكي من المدرسة، ثم يتم تعزيزه خارج المحيط المدرسي، في المدرسة والبيت والشارع، وفي مختلف المرافق، ومع مختلف الفئات الاجتماعية. ومن هذا المنطلق يصبح المواطن متشبعا بقيم الديمقراطية ومبادئ حقوق الانسان، ومتمسكا بحقوقه ومحترما لحقوق غيره. (الصديق، 2014، ص34)

ونظرا لأهمية التربية على مبادئ حقوق الإنسان، فمن الضروري أن تعمل الأنظمة التربوية والتعليمية على إرسائها وترسيخها لدى المتعلمين، مثل حرية التعبير والحق في الاختلاف والتسامح. وذلك لأن التلميذ يصبح في المستقبل مواطنا قادرا على النهوض بمجتمعه، بفضل امتلاكه لهذه الحقوق.

4. 4 التربية على قيم التسامح:

لقد جاء في وثيقة المؤتمر العام لليونيسكو الخاص بموضوع التسامح والذي انعقد في نوفمبر 1995 أن من معاني التسامح، الاعتراف لكل واحد بحقه في اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه، كما يعني بأن لا أحد يفرض آراءه على الآخرين. (غريب، 2000، ص397)

ولتعزيز قيمة التسامح جاء في المادة الرابعة الخاصة بالتعليم كمجال لترسيخ قيم التسامح ما يلي: "إن التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها، وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات، فضلا عن تقوية عزمهم على حماية حقوق وحريات الآخرين". (سعاد، 2020، ص46).

ومن الآليات التي تنمّي قيمة التسامح لدى المتعلم حسب ما أكدته الفلسفة البراغماتية والفلسفة التربوية عند جون ديوي، تنمية عادات التفكير العلمي، والتحرر من التعصب لفكرة معيّنة، وتنمية رغبة التلاميذ في الاستماع إلى وجهات النظر، والاعتراف بإمكانية الوقوع في الخطأ. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف. (سعاد، 2020،ص48)

ويمكننا الاستشهاد بمثال من السيرة النبوية، لإبراز قيمة التسامح وهو موقف رسول الله صلى الله عليه وسلّم من كفار قريش عند فتح مكّة حيث قال لهم "اذهبوا فأنتم الطلقاء، رغم كل ما رأى منهم من عداوة وكراهية حتى خرج من مكة مرغما. هذا الموقف يمكن أن يتعمّق المعلم في تحليله مع الطلبة حتى يستوعبوا قيمة التسامح وأهميتها.

إذن نستنتج أن التسامح لا يعني التغافل عن القوانين والتشريعات، بل هو الاعتراف بالخطأ وتحمل المسؤولية، وتقبّل رأي الآخرين واحترام مواقفهم. ونشير إلى أن أهم عامل يحفزنا على ضرورة تربية الأبناء على قيم التسامح، هو تفشي ظاهرة العنف بشكل واسع، الأمر الذي جعل دائرة الخلاف والعداوة بين الأفراد تزداد اتساعا.

4. 5 التربية على القيم الجمالية:

تحرص العديد من المجتمعات على الاهتمام بالتربية الجمالية، من أجل تنمية شخصية المتعلم بما يلائم قدراته واستعداداته العقلية والنفسية؛ حيث تنمي التربية الجمالية في الفرد سمو الذوق الذي يظهر من خلال أنماط السلوك، وكذا في العلاقات الاجتماعية، وفي الأشياء والموضوعات الحسية؛ وعلى هذا الأساس يرتقي الحس الوجداني لدى المتعلم، ويكتسب القدرة على التمييز بين ما هو جيّد وما هو قبيح. (غريب، 2000، ص393).

"إن الإحساس بالجمال هو نوع من السلوك لدى الإنسان، ينمو ويكبر ويكتسب من خلال التعلم، هذا السلوك هو أداة من أدوات التمدن التي يسعى إليها الإنسان بطبعه... والسعي وراء الشعور بالجمال، هو من بين اهتمامات الإنسان السوي الذي يبحث عن الاستقرار النفسي والتكامل الشعوري بين الروح والجسد". (عمار،2016، ص6)

خلاصة القول، إن التربية على القيم الفنية والجمالية ينمي ذوق الإنسان، فيحب الجمال ويقدره في كل أشكاله وصوره، فإذا وُجد الذوق الجمالي، وُجدت السكينة والطمأنينة، وانعكس ذلك على جمال السلوك، أما إذا انعدم الذوق الجمالي، ساءت المعاملة والسلوك، وكثر القلق وتوتر الأعصاب.

من خلال ما سبق ذكره، نستنتج أن حاجة الفرد إلى القيم، تعادل حاجة المجتمع إليها؛ ذلك أن تكامل الشخصية يرتكز بالأساس على اتساق المنظومة القيمية. كما أن دور المؤسسات التعليمية لا يقتصر على تزويد المتعلمين بالمعارف الضرورية، بل تتعدى إلى مساعدتهم على فهم قيمهم والارتباط بها وممارستها،

وهو ما من شأنه أن يوفر لهم مناخا ملائما للاستقرار، ومن ثمّ وضع حدّ للهوّة بين المناهج التعليمية والقيم الأخلاقية.

5. الآليات والطرق المعتمدة في تدريس القيم:

إن التربية على القيم لا تتم بطريقة عشوائية بل تحتاج إلى استخدام المعلم طرائق تدريسية متنوعة حتى يكتسب الطلاب القيم. ولهذا فالقيم لا تُلقن، بل يجب ترجمتها إلى سلوك ممارس. ومن هذا المنطلق يختلف تدريس القيم عن تدريس المعارف، إذ لكل منهما طرقه وخطواته وأساليبه. ولهذا يجب الاهتمام بغرس القيم بطريقة سليمة، حتى يتم ترسيخها وتعزيزها في نفوس التلاميذ، فهي التي تضبط سلوكياتهم وتساهم في النهوض بالمجتمع.

ويعتمد تدريس القيم على الطرائق التفاعلية التي يتحدّد في إطارها دور كل من المعلم والمتعلم في الموقف التعليمي. وعلى هذا الأساس يتم تحفيز الطلبة على التفكير والمشاركة الفاعلة وتعميق التواصل بينهم وبين المعلّم، وهذا يجعلهم يشعرون بالقرب منه، فتنشأ الثقة بين الطرفين (المعلم والمتعلم) وهي أساس التوجيه القيمي. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار القدوة من الطرق التي يمكن اعتمادها في تدريس القيم.

5. 1 تعلّم القيم عن طريق القدوة:

يصبح الإنسان قدوة، عندما يكون سلوكه وعمله مثالا للآخرين، يتأثرون به فيفعلون فعله، ويتشبهون بطريقته وتصرفاته. وقد يكون قدوة حسنة إذا تمثّل معايير الحق والفضيلة، كما يمكن أن يكون قدوة سيئة إذا كانت أفعاله سيّئة وغير مقبولة. (الجلاد، 2013، ص109). ولهذا تعتبر التربية بالقدوة من أهم العوامل المساعدة على تكوين شخصية الإنسان وخاصة في مرحلة الطفولة. ذلك لأن التربية والتنشئة هي في أساسها عملية اجتماعية وتفاعلية، يكتسب الفرد من خلالها الخبرة والتجربة والمعرفة وأنماط السلوك من الوالدين والمعلمين. (الجلاد، 2013، ص110)

لكن تكون التربية بالقدوة ذات أثر إيجابي، عندما يدرك الطفل سبب صدور السلوك، فلا نكتفي بالفعل بل لا بدّ من ربطه بالقول؛ لأن القيم مفاهيم مجرّدة يصعب على المتعلم فهمها ما لم تتضح معانيها وتتجسّد في السوك العملي. ومن أجل نجاح هذه الطريقة، لابد أن يشعر المعلم بأهمية دوره في تعليم القيم، وأنها جزء أساسي من عمله التربوي.

2.5 طريقة الحواروالمناقشة:

تعتبر هذه الطريقة أكثر ملاءمة لتعليم القيم وتعزيزها؛ لأنها تفتح المجال أمام المتعلمين للتعبير عن أفكارهم وتصوراتهم المختلفة حول القضايا القيمية المعروضة للنقاش، وهو بذلك يكشف صحتها وخطأها، ويطلع على آراء وأفكار أخرى، ويكشف عن موقفهم من القضايا القيمية وطريقتهم في التعامل معها. وفي المقابل يعمل التلقين والإلقاء على فرض تصورات وقيم، من غير قناعات عقلية تدعمها. (الجلاد،2013، ص138)

ويمكن للمعلم أن يساعد الطلبة على تطوير قدرات تفكيرهم الأخلاقي من خلال المناقشات الصفية التي تعالج موضوعات أخلاقية. وفي هذا السياق يذهب لورانس كولبرغ L.Kohlberg (1927-1987) إلى أن أفضل طريقة لاستثارة التفكير الأخلاقي هي تقديم المعضلات الأخلاقية للطلبة من أجل مناقشتها. "والمعضلة الأخلاقية عبارة عن موقف يتضمن مشكلة تتصارع فيها قيمتان، ثم يُطلب من المتعلمين اختيار أحدهما مع ذكر أسباب هذا الاختيار، وحتى تكون المشكلة (المعضلة) الأخلاقية فاعلة في التأثير على تفكير الطلبة وتحفزهم على المناقشة وإبداء الرأي، يجب توفر بعض الشروط منها:

-أن تكون المشكلة سهلة ما أمكن.

-أن تكون مفتوحة النهاية، من غير إجابة واضحة أو وحيدة؛ لأن الهدف هو استثارة تفكير الطلبة وتوليد صراع معرفي، وحوار واختلاف في آرائهم.

-تساعد الطلبة على التفكير في أسباب الصراع القيمي.

-مناسبة لمستوى الطلبة العمري. (الجلاد، 2013، ص193)

إذن على المعلم أن يحسن اختيار المواقف التي تثير التساؤل والفضول وتفتح باب المناقشة والحوار، وتدفعهم إلى البحث عن حلول لتلك المواقف والمشكلات التي تحمل قيما نريد تعزيزها وترسيخها لدى المتعلمين.

3.5 طريقة حل المشكلات:

تعد طريقة حل المشكلات من الطرق الفاعلة في تدريس القيم؛ لأنها تضع المتعلم أمام موقف تعليمي يثير تفكيره في قيمة ما، فيعمل على التفكير في جوانبها المختلفة، والنظر في البدائل المطروحة عليه ونقدها

وترجيح الموقف المقنع، ومن ثمّ يتخذ قراره بشأنها، وهو على علم ووعي بنتائج هذا القرار. (الجلاد، 2013، ص156)

مثلا مشكلة التلوث البيئي مشكلة واقعية يمكن عرضها على التلاميذ، وعن طريق الحوار والمناقشة يصل المعلم بمعية التلاميذ إلى اقتراح حلول للتقليل من حدّة التلوث البيئي (مثلا استعمال الطاقة المتجددة أو المستدامة، الرياح والمياه والشمس). إن طريقة حل المشكلات تضع المتعلّم أمام موقف تعليمي يثير تفكيره في قيمة ما، فينظر في البدائل المقترحة وينقدها ويختار الأحسن منها، ثم يتخذ قراره النهائي بوعي وتبصّر. ومن هنا تُبنى القيمة على قناعة راسخة، فتثبّت في فكر المتعلّم ووجدانه.

4.5 استراتيجية توضيح القيم:

إن أغلب مشكلات الطلبة السلوكية والقيمية إنما تنشأ بسبب عدم وضوح القيم لديهم. وعندما تصبح مفهومة وجلية في أبعادها وغاياتها، تزول السلوكات السلبية لدى المتعلمين. وعندما يعمل المعلم على استثمار ما صدر عن المتعلم من تعبير أو تعليق يرتبط بقيمة ما، يوظفه في استكشاف وتوضيح هذه القيمة. (الجلاد، 2013، ص175، 176) ونظرا لأهمية الوعي بالقيم يقول المهدي المنجرّة: "أن يكون الإنسان واعيا بقيمة القيم، فإن ذلك قيمة في حدّ ذاتها". (المنجرة، 2007، ص14)

إذن لا بدّ من توجيه الطلبة لفهم قيمهم واتجاهاتهم واهتماماتهم، وذلك عن طريق طرح بعض الأسئلة التي تخصّ القضايا القيمية، ثمّ متابعة استجاباتهم. وعلى هذا الأساس تصبح القيم واضحة في ذهن المتعلمين، بعد إعادة النظر في بنائها المفاهيمي، ثمّ نقدها وفحص أدلّتها للوقوف على حقيقتها، والنتيجة المترتبة عن وضوح القيمة هو التصرف بثقة ويقين بعد إدراك ما ينبغي فعله وما ينبغي تركه.

5.5 استراتيجية محاكمة القيم:

تركز هذه الاستراتيجية على تطوير قدرة الطلبة على تقويم قيمهم. ويعتمدون في ذلك على مجموعة من المهارات والعمليات العقلية التي تجعلهم يراجعون ويحاكمون قيمهم الخاصة، وهنا يكون دور المعلم إرشاديا وتوجيهيا. إلا أنه لا يوجه الطلبة إلى قيم محدّدة، وإنما يعمل على زيادة خبرتهم ومعرفتهم بالقواعد العقلية والمنطقية بغية تمكينهم من الحكم على قيمهم وتقويمها. (الجلاد، 2013، ص183)

ومن خلال هذه الطرق والاستراتيجيات يتمكن المتعلم من إصدار أحكامه حول القيم التي يؤمن بها؛ لأن طريقة الحوار والمناقشة وكذا طريقة حل المشكلات تسمح للمتعلم التفكير في القيم بصورة أعمق، إذ

يتمكن من التعرف على إيجابياتها وسلبياته، ومن ثمّ تصبح واضحة في ذهنه، وبعد ذلك يقوم بفحصها ونقدها وتقييمها، ثمّ اتخاذ موقف وقرار بشأنها.

6. خاتمة:

بعد تحليلنا لإشكالية العلاقة بين التربية على القيم ونجاح المنظومة التربوية والتعليمية، توصلنا إلى أن التربية على القيم هي قضية الإنسان الأولى، ومنطلق تفكيره، ومحط تأملاته. فجوهر الوجود الإنساني يقوم عليها، ويؤسس حولها. إذ لا معنى لحياة الإنسان من غير قيم تحكم تفاعله مع عوالم الأفكار والأشياء من حوله، وعندما يتجرّد الإنسان من قيمه الأخلاقية، فإنه يتجرّد من حقيقة إنسانيته ومعناها ووجودها. فعندما تضعف القيم التي تحافظ على تماسك المجتمع وترابطه، تتفشى المشاكل الاجتماعية مثل انحراف الشباب بسبب تعاطي المخدرات، وتفكك الأسرة نتيجة الطلاق والبطالة وطغيان العنف والعدوانية والفردانية؛ لأن الأفراد أصبحوا لا يهتمون إلا بما يخدم مصالحهم الشخصية. وبالتالي أصبحت الحاجة إلى تفعيل دور القيم في حياة الأفراد والمجتمعات ضرورية جدا؛ لأنها تنظم العلاقات الإنسانية بين الأفراد.

ونظرا للتدهور الأخلاقي الذي عرفه عالمنا المعاصر، بسبب الثورة التكنولوجية وهيمنة قوى الانفتاح والعولمة، وما ترتب على ذلك من تأثيرات على منظومة القيم، لاحظنا غياب بعض القيم الأخلاقية وظهور أخرى لا تتناسب مع قيم ومعتقدات مجتمعاتنا العربية والإسلامية، الأمر الذي أدّى إلى التقليد غير العقلاني للغرب وقيمه. وفي ظل هذه الظروف أضحى من الضروري الإسراع إلى تجديد وتطوير المناهج التعليمية بحيث يصبح للقيم مساحة كبرى في المقررات الدراسية، لأن التعليم هو المنطلق الأول لإصلاح الإنسان، ومن ثمّ إصلاح القيم.

ومن هذا المنطلق يعتبر التعليم من أهم السبل التي تعيننا على غرس القيم في نفوس المتعلمين، لتأهيلهم وتكوينهم تكوينا سليما حتى يندمجوا في المجتمع ويساهموا في تطويره. لكن لن يتحقق ذلك إلا باعتماد فلسفة تربوية تستند إلى مناهج تعليمية مدروسة بعناية وبطريقة علمية، حتى تحقق الأهداف المرجوة منها، وتعمل على تدريس القيم بطرق حديثة أساسها الحوار والمناقشة وحل المشكلات. ذلك لأن إصلاح التعليم مرتبط بنجاعة الوسائل والطرق المعتمدة في التدريس عامة، وتدريس القيم بشكل خاص؛ لأن المسألة ليست مجرّد تقديم دروس نظرية حول أهمية القيم ومكانتها في المجتمع، وإنما كيف يمكن ترجمتها

إلى سلوكات وأداءات. ولهذا لابد من تربية أبنائنا منذ الصغر على القيم الأخلاقية، قيم المواطنة، قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، والتربية على القيم الفنية والجمالية.

وإذا راعينا كل ذلك، فسوف يتم تأسيس أنظمة تربوية وتعليمية قوية، وسياسات تعليمية واضحة، لكن بتحقيق شرط جوهري، وهو توفر الثقة في مقدرتنا الذاتية على إنتاج النجاح من خلال دعم الإبداع والتفوق في التعليم.

7. قائمة المراجع:

Larousse. (2003). *Grand dictionnaire de la philosophie.* Paris.

1-إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر. (2004). *المعجم الوسيط*. مصر: مكتبة الشروق الدولية.

2-أحلام عتيق السلمي. (2019). مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي. *مجلة العلوم التربوية والنفسية* (2)، صفحة 85.

3-الربيع ميمون. (1980). *نظرية القيم في الفكر المعاصر*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

4-الصادقي العماري الصديق. (2014). التربية على المواطنة وحقوق الإنسان مشروع تكوين مواطن الغد. *مجلة علوم التربية* (59)، صفحة 34، 35، 36.

5-الغالي أحرشاو. (2017). المدرسة ورهان الديمقراطية في المغرب. *مجلة المدرسة المغربية* (7، 8)، صفحة 53.

6-المهدي المنجرة. (2007). *قيمة القيم*. الرباط: المركز الثقافي العربي.

7-وزارة التربيةالوطنية .(2009) .*المرجعية العامة للمناهج* .الجزائر.

8-جلال الدين سعيد. (2004). *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية*. تونس : دار الجنوب للنشر.

9-جودت سعادة، عبد الله إبراهيم. (2014). *المنهج المدرسي المعاصر*. عمّان: دار الفكر.

10-حسين أحمد اللقاني. (1995). *تطوير مناهج التعليم*. القاهرة: عالم الكتب.

11-حنان حسن عمار. (2016). *طرق تدريس التربية الجمالية والفنية*. الأردن: دار أمجد للنشر والتوزيع.

12-خالد الصمدي، خالد حنفي. (2017). *تكامل المعرفة والقيم في بناء المناهج التعليمية*. قطر: مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق.

13-عباسي سعاد. (2020). إجراءات تربوية تعليمية لتنميةقيمة التسامح عند المتعلمين. *مجلة مسالك التربية والتكوين* (1)، صفحة 46، 48.

14-عبد الكريم الشاذلي. (2017). *المنهج المدرسي ما له وما عليه*. مصر : كلية التربية.

15-عبد الكريم غريب. (2000). *مستجدات التربية والتكوين*. المغرب : منشورات عالم التربية.

16-عبد اللطيف محمد خليفة. (1992). *إرتقاء القيم*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
17-علاء الدين سعيدي. (2018). القيم الأخلاقية في مناهج المنظومة التربوية الجزائرية. *مجلة مسالك التربية والتكوين*(4)، صفحة 283، .287
18-ماجد زكي الجلاد. (2013). *القيم تعليمها وتعلمها*. الأردن.
19-مجموعة من المؤلفين. (2009). *المعجم التربوي*. الجزائر: المركز الوطني للوثائق التربوية.
20-وين، رالف ن. (1964). *قاموس جون ديوي للتربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.